جامعة الملك سعود
King Saud University

آفاق
تربوية - نفسية

الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية
Saudi Educational & Psychological Assn.

رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

رمضان 1441 هـ || مايو 2020 م
العدد: 60

وميض الرئيس

التعليم في ظل جائحة كورونا : مشاهدات ودروس مستفادة

بقلم :
أ.د: فهد بن سليمان الشايع
عميد كلية التربية بجامعة الملك سعود
رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية
للعلوم التربوية والنفسية

أعلنت منظمة الصحة العالمية في 11 مارس 2020م الموافق 16 رجب 1441هـ، بأن انتشار فيروس كورونا المستجد أصبح "جائحة عالمية"، ويعد هذا الإعلان تحولاً لافتاً على صعيد التعليم عالميّاً، حيث نتج عن ذلك تعليق الدراسة حضوريّاً في غالبية المدارس والجامعات في العالم، ولأول مرة في التاريخ الحديث بهذا التوسع، وعملت الدول على بدائل للتعلم عن بعد وَفْقَ إمكاناتها، وكانت وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية من أوائل الدول التي تفاعلت مع هذه الجائحة العالمية؛ إذ بادرت بالإعلان عن تعليق الدراسة في جميع مدارس ومؤسسات التعليم العام والجامعي والتقني والمهني، الحكومية والخاصة، وذلك قبل إعلان منظمة الصحة العالمية بيومين، فقد علقت المملكة العربية السعودية الدراسةَ ابتداءً من 9 مارس 2020م الموافق 14 رجب 1441هـ مع تفعيل الفصول الافتراضية والتعلم عن بعد خلال فترة التعليق .

وبينت هذه الجائحة العالمية مقدرات الأنظمة التعليمية في مجال التعلم عن بعد سواء من حيث الإمكانات المادية مثل شبكات الإنترنت وخدماتها، وتوافر المنصات التعليمية والتجهيزات لدى أعضاء الهيئة التعليمية والطلاب، أو من حيث بدائل التعلم والتعليم بتوافر المواد التعليمية، وقدرة الهيئة التعليمية على تصميم وإدارة التعلم عن بعد، وقدرة الطلبة على التعلم الذاتي وممارسة التعلم عن بعد، وقدرة القيادة التعليمية على إدارة الأزمة وقيادة ممارسات التعلم والتعليم المثلى عن بعد وَفْقَ المقومات الممكنة، كما كشفت هذه الجائحة وعي مؤسسات المجتمع المختلفة لدورها بتقديم الخدمات والدعم والمساندة بهذا الخصوص .

وعنـد التأمـل بالمشـهد التعليمـي المحـلي سـواءً عـلى مسـتوى التعليـم العـام أو الجامعـي، يمكن استخلاص المشاهدات الآتية :

- أظهـرت البنيـة التحتيـة الوطنيـة في مجـال شـبكات الإنترنـت وخدماتهـا تميـزاً واضحـاً إذا مـا قورنـت بنظيراتها عالميّاً، حسب ما أظهرته عدة تقارير عن الأزمة الحالية ووَفْقَ حجم التحديات التـي واجهـت الـدول بهـذا الشـأن، كـما بـرزت عـدد مـن برامـج التكافـل الاجتماعـي التـي قدمتهـا بعـض الجهـات الحكوميـة والأهليـة في دعـم الأسر غـير المقتـدرة عـلى تأمـين ممكنـات التعلـم عـن بعد لأبنائها، من حيث الأجهزة والمتطلبات الأخرى .
- عـلى مسـتوى التعليـم العـام، أظهـرت الـوزارة اسـتثماراً جيـداً في مجـال منصـات التعلـم عـن بعـد، مثـل: قنـوات عـين التعليميـة، ومنظومـة التعليـم الموحـدة ومـا حوتـه مـن حلـول وبدائـل متنوعـة للمعلـم والطالـب بتعليـم وتعلـم متزامـن وغـير متزامـن، وتلـك منحـت خيـارات جيـدة للطلبـة وأسرهـم في مواصلـة رحلـة التعلـم عـن بعـد، كـما كان للمبـادرات المؤسسـية والفرديـة الأخـرى إسـهامات مضيئـة سـواء مـا كان منهـا متوافـراً مـن قبـل الأزمـة الحاليـة وبـرزت الحاجـة إليهـا مؤخـراً، أم المبادرات التي ولدت في رحم هذه المحنة .
- عـلى مسـتوى التعليـم الجامعـي، واجهـت أنظمـة التعلـم المعتمـدة في الجامعـات تحديّـاً كبـيراً؛ نظـراً لتوحيـد تلـك الأنظمـة في نظـام واحـد، إذ واجـه النظـام ضغطـاً كبـيراً مـن المسـتخدمين أدى إلى ظهـور تحديـات كبـيرة واجهـت الجامعـات في بدايـة الأزمـة، مـما تتطلـب مـن الجامعـات مزيـداً مـن المرونـة وتوفـير البدائـل لأعضـاء هيئـة التدريـس فيهـا ولطلابهـا، وكان لخـبرات الجامعـات ولقـدرات أعضـاء هيئـة التدريـس دور بـارز في معالجـة هـذا الأمـر مـن حيـث توفـير البدائـلِ المختلفـةِ لاستمرار رحلة التعلم للطلبة .
- عـلى مسـتوى القيـادة التعليميـة، أظهـرت القيـادة التعليميـة قـدرة متميـزة في إدارة الأزمـة مـن بدايتهـا، سـواء عـلى مسـتوى الإدارة العليـا في جهـاز الـوزارة أو الجامعـات، أو عـلى مسـتوى القيـادات المتوسـطة والدنيـا، وظهـر هـذا في بيانـات الـوزارة والجامعـات المختلفـة، سـواء بمـا يتعلـق بـإدارة العمليـة التعليميـة أو القـرارات المصاحبـة المتعلقـة بتعليـق الدراسـة أو الحضور لمقرات العمل أو بدائل التعامل مع أنظمة التعلم والتقويم المختلفة .

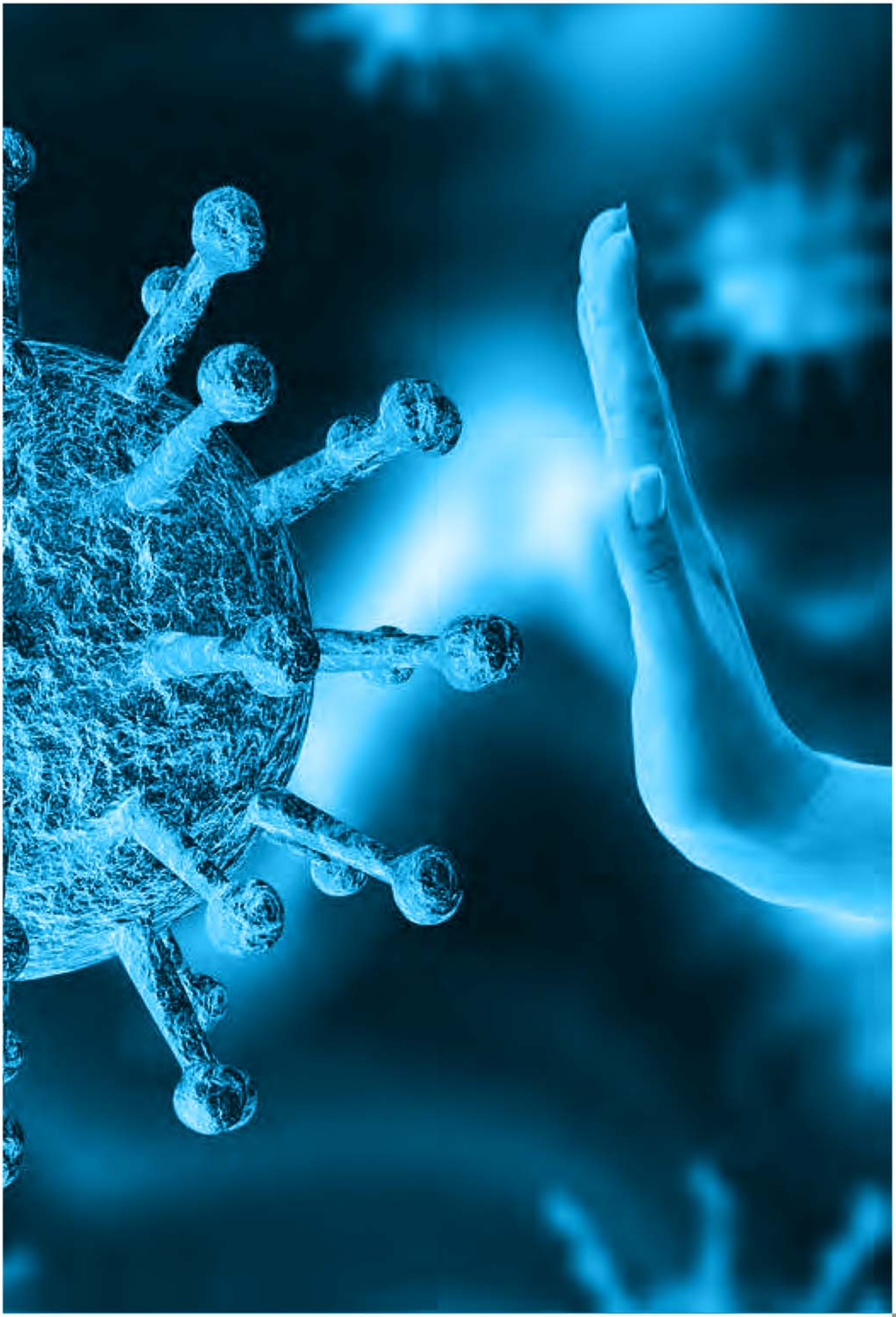

- على مستوى المبادرات المؤسسية، أظهرت هذه الأزمة فرصاً لم تكن مستثمرة استثماراً جيداً من الميدان التعليمي، وبينت المؤشرات الأولية نجاحها، مثل: المناقشات للرسائل العلمية عن بعد والتي نفذت باقتدار في عدد من الجامعات السعودية وأظهرت تفاعلاً جيداً لحضورها، وصارت منبراً للتعليم والتعلم ونقل الخبرات بين الجامعات، وهذا بلا شك سيؤدي إلى الاهتمام بها اهتماماً أكبر من لدن أعضاء لجان المناقشة وطلاب الدراسات العليا، وسيحقق جزءاً من أهداف هذه المناقشات العلمية في نشر العلم .
- على مستوى التطور المهني وخدمة المجتمع، اتجهت بعض الجامعات والمؤسسات التعليمية المختلفة لخدمة المجتمع بتقديم برامج توعية وبرامج تطور مهنية مختلفة ولوحظ الإقبال العالي عليها، فعلى سبيل المثال: مبادرة المركز التربوي للتطوير والتنمية المهنية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، التي انطلقت من بداية الأزمة وشهدت تفاعلاً كبيراً مع تلك البرامج، وأصبحت سعة القاعة المخصصة لـ (1000 مشارك) تمتلئ بالحضور من بداية البرنامج، والمتتبع كذلك للبرامج الأخرى المقدمة من الجامعات ومراكز التطوير المهني والتدريب في التعليم العام يلاحظ اكتمال معظم المقاعد المخصصة في تلك البرامج، بل إن البعض منها لم تستطع استيعاب جميع الراغبين بحضور تلك البرامج .
- وبعبارة موجزة، أظهرت هذا الأزمة تفاعلاً إيجابيّاً من نظام التعليم السعودي بمختلف مستوياته، ونجاحه في قيادة رحلة التعلم والتعليم وَفْقَ أفضل الممارسات الممكنة إذا ما قورن بمثيله في الدول الأخرى، ولا شك أن حُكماً كهذا يتطلب مزيداً من البحث العلمي والتقصي المنهجي

وفي ظل تلك المشاهدات الأولية، يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات والتأملات التي يمكن أن تساعد في تحسين قيادة منظومة التعليم خلال هذه الأزمة وبعد انجلائها بإذن الله تعالى، ويمكن تحديد أبرز تلك الدروس المستفادة بالآتي :

- ضرورة العناية بتمكن الطلبة بمختلف مستوياتهم من مهارات المستقبل، وخاصة مهارات التعلم الذاتي مع العناية بدافعية التعلم لدى الطلبة بشكل عام، فهذان الأمران يعدان عنصرين أساسيين بينت الأزمة الحالية ضرورة العناية بهما .
- أهمية المعتقدات والاتجاهات الإيجابية نحو المهنة وأنها تعد أساساً مهمّاً في نجاح أي عمل مؤسسي، وتأكد هذا الأمر بجلاء في ظل هذه الجائحة العالمية، فنجاح الخطط البديلة تتطلب تفاعلاً إيجابيّاً من المعلمين وجميع الممارسين التربويين وأعضاء هيئة التدريس وجميع الداعمين من القيادات التربوية، لذا يتأكد العناية بهذا الأمر واعتباره مرتكزاً أساسيّاً لأي تطوير للتعليم .
- أهمية العناية بالتعلم عن بعد بوصفه وسيلة داعمة للتعلم في مختلف المستويات، وعطفاً على ذلك لا يمكن أن يعد هذا النوع من التعليم بديلاً مكتملاً عن التعليم التقليدي، كما أن نجاح التعلم عن بعد يتطلب مهارات وإمكانات عالية على مستوى المنظومة التعليمية كافة، وعلى مستوى مهارات المعلم التقنية وقدرته على تصميم التعلم عن بعد وإدارته والقدرة على توظيف البعد الاجتماعي فيه، كما ينبغي الإيمان بأن الحلول الطارئة التي عولج تعليق الدراسة بها لا تمثل بمجملها تعلماً عن بعد محققاً لمواصفات التصميم والتنفيذ المثلى؛ لما يتطلبه ذلك من خطوات علمية متسلسلة لتحقيق التصميم التعليمي الجيد، كما يتطلب عدداً من المقومات لتنفيذه .
- تقويم التطوير المهني والمبادرات المجتمعية التي قدمتها المؤسسات التعليمية المختلفة وشهدت إقبالاً واسعاً عليه، ومحاولة تقصي أثرها واستمرارها بعد زوال هذه الجائحة بإذن الله تعالى .

وأخيراً، أؤكد أهمية هذه الفترة بوصفها مرحلة مهمة للمؤسسات والمراكز البحثية والباحثين في تقصي عدد من الظواهر والمشكلات البحثية التي أفرزتها هذه الجائحة العالمية، وأشير إلى بعض منها في ثنايا هذا المقال، فالنجاح في إدارة التعامل مع مثل هذه الأزمات يتطلب الاستفادة منها واستثمارها لتطوير وتحسين الأداء بمختلف المجالات .

إن تحقيق هذا المطلب يتطلب بعداً مؤسسيّاً وطنيّاً بالتصدي له بالبحث والدراسة بشكل منهجي ورؤية شاملة، وهو إلى ذلك أيضاً يتطلب بعداً آخَرَ يقع على عاتق الباحثين بمختلف المؤسسات التعليمية وغيرها ومن مختلف التخصصات من أجل المساهمة بالبحث والتطوير، فنحن نعيش في مرحلة خصبة للباحثين في تقصي المشكلة وتطبيق أدوات بحثية متنوعة، وبتتبع المراحل والممارسات وغيرها .

فمن رحم المحن تأتي المنح، والنجاح يتطلب استغلال الفرص واستثمارها استثماراً أفضل، وتحفيز المنظومة التعليمية تحفيزاً كاملاً في أداء دورها خلال الأزمة، والأهم من ذلك استخلاص الدروس المستفادة منها، ونسأل الله لوطننا دوام الرقي والتقدم، ولتعليمنا مزيداً من التميز والإبداع، والله ولي التوفيق .